محاضرة رقم: 03

نشأة علوم القرآن وتطوّره

1- عصر ما قبل التّدوين:

- **<u>في عهد النبي صلى الله عليه وسلّم :</u>**

كان الرسول -صلى الله عليه وسلم، يعلم من القرآن ظاهره وباطنه، ومحكمه ومتشابهه، وعامَّه وخاصَّه، ومطلقه ومقيده، وغير ذلك من الأمور الجلية والخفية، التي شملها هذا التّنزيل الحكيم .أما صحابته الرضوان، من عاشروا التنزيل فعرفوا متى نزل وفيمن نزل، وهم العرب الخلّص ذوو الألسن القويمة والفطر السّليمة ؛ فقد فهموا القرآن بسليقتهم ، وما استفسروا إلا على ما استشكلوا، ولكن هذه المعارف في القرآن وعلومه لم تدوّن ، ولم تجمع في مصنّفات **<u>لأسباب نجلّيها في ما يلي:</u>**

1. صفة الأمية التي لازمت أغلب الصّحابة رغم الخصائص التي ميّزتهم.
2. التعويل على التّلقي وعلى الحفظ ،وذلك عادة من عادات العرب .
3. غياب أدوات الكتابة وعدم تيسّرها للجميع .
4. الخوف من أن يلتبس القرآن بغيره، أو يختلط بما ليس منه، فنهى الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن يكتبوا عنه شيئًا غير القرآن، وقال لهم أول العهد بنزول القرآن فيما رواه مسلم في صحيحه, عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه: "لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدِّثُوا عني فلا حرج، ومن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار."

فلهذه الأسباب لم تكتب علوم القرآن, كما لم يكتب الحديث الشريف، ومضى الرعيل الأول على ذلك في عهد الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

- **<u>في عهد عثمان بن عفّان رضي الله عنه</u>**

اتسعت رقعة الإسلام في عهد الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه، واختلط العرب بالعجم ، فخاف المسلمين على القرآن أن يختلف في قراءته، فأشاروا على عثمان بكتابة القرآن الكريم في

مصحف واحد ،وبذلك فعل عثمان رضي الله عنه فجمع المسلمين على مصحف واحد عُرِفَ بمصحف الإمام، وأرسلت نسخ منه إلى الأمصار وسميّت كتابته بالرّسم العثماني نسبة إليه وبهذا العمل وضع عثمان -رضي الله عنه- الأساس لما نسميه :(علم رسم القرآن).

- **في عهد علي رضي الله عنه**

جاءت خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فلاحظ أن العُجْمَة تكاد تحيف على اللغة العربية، فأمر أبا الأسود الدؤليّ أن يضع بعض القواعد صونا للغة القرآن من العبث ، ويعتبر هذا كبداية لعلم : (إعراب القرآن).

- **في عهد التّابعين رضي الله عنهم**

حين اتسعت الفتوحات الإسلامية انتشر الصحابة رضوان الله عليهم في البلدان المفتوحة يتناقلون معاني القرآن وعلومه من تفسير لبعض آياته وشروح لغريبه ،وأسباب لنزوله وناسخه ومنسوخه ، معتمدين في ذلك على الرّواية بالتّلقين ، فبذله لهم التابعون وفتحوا لهم صدورهم وأفسحوا لهم مجالسهم؛ فنشأت ما يصح أن نطلق عليها بـ"مدارس التفسير" وهي كثيرة تمايزت منها ثلاث:

أشهر مدارس التّفسير

ابن عبّاس بمكة:

وهو حبر هذه الأمة وترجمان القرآن ، من تلاميذه:

- سعيد بن الجبير
- مجاهد
- عكرمة مولى بن عبّاس.
- عطاء بن أبي رباح

أبي بن كعب بالمدينة

وهو من كتاب الوحي، وإمام القراء،من تلاميذه:

- زيد بن أسلم
- أبو العالية
- محمد بن كعب القرظي

ابن مسعود بالعراق:

وهو أوّل من جهر بالقرآن وأسمعه قريشا، من تلامذته:

- الحسن البصري
- علقمة بن قيس
- مسروق

والذي روي عن هؤلاء وغيرهم من الصّحابة والتّابعين لم يقتصر على علم التّفسير بمعناه الخاص ،بل كان يشمل مع هذا علم غريب القرآن، وعلم أسباب النزول، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم المكي والمدني، ونحو ذلك، و ظلّ التّناقل بينهم معتمدا على التلقين لا التّدوين وعلى المشافهة لا الكتابة .

2- علوم القرآن في عصر التّدوين:

- **المرحلة الأولى : التفسير باب من أبواب الحديث:**

جاء عهد التّدوين في القرن الثّاني للهجرة ، وبدأ تدوين السّنة بأبوابها المتنوّعة ، فكان لعلماء الحديث جهود مباركة في بدايات تدوين هذا الفن حينما اشتملت مصنفاتهم على أبواب التفسير وعلوم وفضائل القرآن الكريم .

- **المرحلة الثّانية : إفراد التفسير بمدوّنات مستقلة :**

تعدد تدوين الفنون وتصنيفها إلى مدوّنات ،ولعل أهم ما تجهت له الهمم في التّدوين :"علم التّفسير "باعتباره رأس العلوم وعمدتها، وأشهر المدوّنات التي عرضت تفسيرا متكاملا مستقلا وفق ترتيب آياته : تفسير ابن جرير الطّبري (تو:310ه) فهو أجلّ التفاسير وأعظمها، نظرا لما اشتمل عليه من روايات مأثورة، واستنباط صحيح، وترجيح موثق بالأدلة، وأصالة في المنهج، ودقة في التعبير.

- **المرحلة الثالثة : التأليف في فنّ مستقل من فنون القرآن:**

- في القرن الثاني الهجري:

ألف الحسن البصري (ت110ه) في "القراءة"، وعطاء بن أبي رباح (ت114ه) في "غريب القرآن"، وقتادة بن دعامة السدوسي (ت117ه) في "الناسخ والمنسوخ."

- في القرن الثالث الهجري:

ألف أبو عبيد القاسم بن سلام(ت224هـ)، في "الناسخ والمنسوخ"، وعلي بن المديني (ت234هـ) في "أسباب النزول"، وابن قتيبة (ت276هـ) "تأويل مشكل القرآن" و"تفسير غريب القرآن."

- في القرن الرابع الهجري:

ألف أبو إسحاق الزجاج "ت311هـ" "إعراب القرآن"، وألف ابن درستويه "ت330هـ" في "إعجاز القرآن"، وألف أبو بكر السجستاني "ت330هـ" "تفسير غريب القرآن".

- في القرن الخامس هجري:

ألّف أبو بكر الباقلاني "ت403هـ" "إعجاز القرآن"، وعلي بن سعيد الحوفي (430هـ) الذي كتب «البرهان في علوم القرآن»، و «إعراب القرآن» وغيرهم .

ثم توالت الكتب والمدوّنات، ومن أشهرها : أمثال القرآن للماوردي(ت:450هـ) ، وجمال القراء للشيخ علم الدين السخاوي(ت:643)،وابن القيّم (ت:751هـ) في أقسام القرآن، وغيرهم، غير أنّ التأليف فيها كان يقتصر على فنّ من فنون القرآن المتصلة به.

- **<u>المرحلة الرّابعة :التأليف في علوم القرآن جملة:</u>**

بعد أن قويت العزائم، وتبارت الهمم في تدوين فنون تتعلق بالقرآن وتتصل به، اشرأَبَّت أعناق العلماء أن يعتصروا من تلك العلوم علمًا جديدًا يكون كالفهرس لها، والدليل عليها والمتحدِّث عنها، فكان هذا العلم هو ما نسميه "علوم القرآن" بالمعنى المدوَّن، ولعل أهم المدوّنات التي اجتهدت في جمع فنون القرآن في مدوّن واحد:

البرهان في علوم القرآن للزركشي(ت:794هـ)

الاتقان في علوم القرآن للسّيوطي (ت:911هـ)

مناهل العرفان للزرقاني (ت:1367هـ)، .....وغيرها .

***